سلسلة الرسائل العلمية

الكنيسة
أسرارها وطقوسها

أ.د. عادل درويش
أستاذ الأديان والمذاهب
كلية الدعوة الإسلامية - جامعة الأزهر
رسالة دكتوراة أجيزت بهذه جامعة الأزهر - القاهرة

دار ابن رجب
دار ابن حزم
القاهرة

لتفترقن أمتي على ثلاث وسبعين، واحدة في الجنة وثنتان وسبعون في النار قيل: يا رسول الله، من هم؟ قال: الجماعة»[١].

تقسيم الفِرَق:

تنقسم الفرق النصرانية إلى فرق قديمة وفرق حديثة معاصرة، ثم إن الفرق القديمة تنقسم إلى فرق موحدة وفرق مؤلهة ومثلثة، فالفرق الموحدة هي التي ظهرت في عصر التوحيد والذي يبتدئ من زمن المسيح إلى الزمن الذي انعقد فيه مجمع نيقية الأول ٣٢٥م أو ما ولي ذلك بقليل.

وأما الفرق المؤلهة فعصرها يبتدئ بعد مجمع نيقية، وبعد تسلط أباطرة الرومان على النصارى والنصرانية وطمسهم لنور التوحيد لدى المسيحيين ومنعهم الموحدين من نشر دعايتهم.

أ- الفرق القديمة الموحدة:

ومن أهم الفرق الداعية إلى نور التوحيد وبشرية عيسى عليه السلام، فرقة الآبيونية والشمشاطية، والآريوسية، وفيما يلي تعريف مختصر لكل منها:

[١] فرقة الأبيونية:

وهم أتباع «أبيون» وترى هذه الفرقة أن عيسى عليه السلام هو المسيح المنتظر الذي تحدثت عنه التوراة، وتقر بجميع شرائع التوراة التي جاء بها موسى عليه السلام، وتنكر ألوهية عيسى وتعتقد أنه مجرد بشر رسول، وكان لهذه الفرقة إنجيل

(١) سنن ابن ماجه جـ٢/ ١٣٢٢ كتاب الفتن، باب افتراق الأمم حديث رقم ٣٩٩٢ ط. عيسى الحلبي تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي. (م ٨ الكنيسة).

al-maktabeh
مكتبة
http://al-maktabeh.com

خاص بها مدون باللغة الآرامية يتضمن تفصيل ما تؤمن به من عقائد، وقد ظلت موجودة حتى أواخر القرن الرابع الميلادي[١].

[٢] فرقة الشمشاطية:

وهم أتباع «بولس الشمشاطي» وكان أسقف أنطاكيا عام ٣٦٠م، وهم من الموحدين، ويرون أن المسيح بشر رسول وأنه عبد لله، خلقه الله في بطن مريم بدون أب وتنكر ألوهيته، ويقول عنهم الإمام ابن حزم: (ومنهم أصحاب بولس الشمشاطي، وكان بطريكا بأنطاكيا قبل ظهور النصرانية، وكان قوله التوحيد المجرد الصحيح، وأن عيسى عبد لله ورسول كأحد الأنبياء عليهم السلام، خلقه الله تعالى في بطن مريم من غير ذكر، وأنه إنسان لا إلهية فيه، وكان يقول: لا أدرى ما الكلمة ولا روح القدس)[٢].

وإذا كان بولس يقول: لا أدرى ما الكلمة ولا روح القدس كما ذكر الإمام ابن حزم فإنه يلفتنا إلى محك الخلاف بين الموحدين والمؤلهين حول الكلمة والروح القدس، فيقول الشيخ أبو زهرة: (ويظهر من هذا أن هاتين الكلمتين كانتا المثار الذي يثير منه أنصار ألوهية المسيح الشبهات حول التوحيد ليلقوا الريب في نفوس معتنقيه، فإذا استولى الريب عليهم ألقوا أمانيهم، ووجدوا من الحيرة والاضطراب ما يتخذونه ذريعة إلى ما يريدون)[٣].

ويذكر ابن البطريق عن بولس الشمشاطي ما يتفق مع قول الإمام ابن حزم، فيقول في بيان مذهبه: (إن المسيح إنسان خلق من اللاهوت كواحد منا

(١) راجع: الأسفار المقدسة ص ١٢٤.
(٢) الفصل في الملل والنحل جـ١/ ٤٧.
(٣) محاضرات في النصرانية ص ١٥١.

في جوهره، وإن ابتداء الابن من مريم (أي أنه محدث وليس قديماً)، ويقولون: إن لله جوهر واحد وأقنوم واحد ولا يؤمنون بالكلمة (أي الابن) ولا بروح القدس، وهي مقالة بولس الشمشاطي بطريرك أنطاكية وهم البوليقانيون)[١].

[٣] فرقة الآريوسية:

الآريوسيون هم أتباع «آريوس» أسقف الإسكندرية، وكان داعيا لمذهب التوحيد، على الرغم من أن كنيسته كانت تزعم القول بألوهية المسيح، إلا أنه كان يواجه أصحاب عقيدة ألوهية عيسى بالحجة والبرهان، وكان قوي التأثير واضح الحجة فيما يدعو إليه، وانتشر مذهبهم في فلسطين وأسيوط والإسكندرية ومقدونية والقسطنطينية، وعلى الرغم من محاربة كنيسة الإسكندرية لمذهبه إلا أن أكثر أتباعه وأقواهم بما يعتقدون كانوا في الإسكندرية.

وظهر آريوس في بداية القرن الرابع الميلادي، وكان ينادي بأن المسيح ليس إلَهًا ولا ابنَ إلهٍ إنما هو بشر مخلوق، وفي بيان مذهبه يقول الإمام ابن حزم: (وكان قسيساً بالإسكندرية ومن قوله التوحيد المجرد، وأن عيسى عليه السلام عبد مخلوق، وأنه كلمة الله تعالى بها خلق السماوات والأرض)[٢].

وانتشر هذا المذهب وكثر أتباعه (وكان منهم أصحاب مقدنيوس وكان بطريركاً في القسطنطينية بعد ظهور النصرانية أيام قسطنطين بن قسطنطين، باني القسطنطينية، وكان هذا الملك آريوسيا كأبيه، وكان من قوم مقدونيوس، هذا التوحيد المجرد، وأن عيسى عبد مخلوق، إنسان نبي، رسول الله كسائر

(١) راجع: الأسفار المقدسة ص ١٣٤-، وراجع: محاضرات في النصرانية ص ١٥١.
(٢) الفصل في الملل والنحل جـ١/ ٤٧-، وراجع: الأسفار المقدسة ص ١٢٥.

الأنبياء عليهم السلام، وأن عيسى هو روح القدس وكلمة الله عز وجل، وأن روح القدس والكلمة مخلوقان، خلق الله كل ذلك[١].

وكانت عقيدة الوحدانية، وأن عيسى عبد الله ورسوله هي العقيدة السائدة عند جمهور النصارى في القرون الثلاثة الأولى وبداية القرن الرابع، ولم يكن لدى أعدائهم القوة لمحاربتهم إلى أن جاء مجمع نيقية بعد قرون إلا أنه اليوم لا وجود له بين النصارى.

ويذكر الإمام ابن القيم أن النجاشي كان على مذهب الموحدين فيقول: وقالت «الآريوسية» وهم أتباع آريوس: (إن المسيح عبد الله كسائر الأنبياء، وهو مربوب مخلوق مصنوع، وكان النجاشي على هذا المذهب، وإذا ظفرت المثلثة بواحد من هؤلاء قتلته شر قتلة، وفعلوا به ما يفعل بمن سب المسيح وشتمه أعظم سب)[٢].

ب- الفرق القديمة الوثنية (فرق التعدد):

ومن أهم الفرق التي مالت إلى التعدد والشرك فرقة المرقونية، والبربرانية والألبانية وفيما يلي تعريف مختصر بكل منها:

[١] فرقة المرقونية:

المرقونيون: هم أتباع «مرقيون» وكان قسيساً، ثم حُكم عليه بالطرد والحرمان، وهم يعتقدون أن هناك آلهة ثلاثة: صالحاً، وطالحا، وعدلاً بينهم، ولعل هذه النحلة من آثار المجوس؛ لأنهم يقولون بإله الخير وبإله الشر[٣].

(١) المرجع السابق نفس الصفحة.
(٢) هداية الحيارى ٣١٠، ٣١١.
(٣) محاضرات في النصرانية ص١٥٣ بتصرف.

الإله الأول: الإله العادي، ويدعى الإله «ديمبرج» ومعناه الخالق والمهندس، وهو الإله الذي يعبده بنو إسرائيل واتخذهم شعباً مختاراً، وأنزل التوراة عليهم، وظل سلطانهم قائماً حتى ظهر الإله الثاني فأبطل أعمالهم وانتهى سلطانه.

الإله الثاني: إله الخير الذي ظهر في شخص المسيح وخلص البشرية من الخطايا، وهم لا يعترفون بالتوراة ولا بمعظم أسفار العهد الجديد، ولا يعترفون إلا بإنجيل لوقا ورسائل بولس بعد إدخال تعديلات عليها تتفق مع آرائهم ومعتقداتهم، ومن مبادئهم: تحريم الزواج تحريماً قاطعاً على جميع أتباعها، ويوجبون على من ينضم إليهم من أتباع جدد أن يطلق زوجته إن كان متزوجا، وإلا لا يمكن قبوله ولا تعميده[١].

ويذكر ابن البطريق أن أصحاب هذه النحلة (زعموا أن مرقيون هو رئيس الحواريين وأنكروا بطرس)[٢].

وقد حاربت الكنيسة هذه الفرق حرباً شعواء، وعلى الرغم من ذلك فقد انتشر هذا المذهب وتبعه خلق كثير في إيطاليا وأفريقيا ومصر، وكان لهم شأن حتى منتصف القرن الثالث، ثم أخذ أمرها يضمحل وأتباعها يتناقصون، إلى القرن العاشر الميلادي ثم انقرضوا[٣].

[٢] فرقة البربرانية:

وأتباع هذه الفرقة: يقولون إن عيسى وأمه إلهان من دون الله عز وجل[٤]،

(١) الأسفار المقدسة ص ١٢١، ١٢٢ بإيجاز.
(٢) محاضرات في النصرانية ص ١٥٣.
(٣) راجع: الأسفار المقدسة ص ١٢٢.
(٤) الفصل في الملل والنحل جـ١/ ٤٧.

ولعل هؤلاء هم الذين ذكرهم الله تعالت كلماته في قوله تعالى مبينا ما يكون بينه سبحانه وتعالى وبين عيسى عليه السلام يوم القيامة، من قوله له: ﴿ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾ ﴾[1].

ورد عليهم سبحانه في السورة بقوله تعالى: ﴿ مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۖ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ ۖ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ ۗ ﴾[2].

ويبدو من ذكر القرآن لآراء هذه الفرقة أنه كان لا يزال لمذهبها أتباع على عهد الرسول ﷺ في القرن السابع الميلادي.

ويذكر الإمام ابن حزم أن هذه الفرق قد بادت[3] وأصبح ليس لها وجود إلا أنه قد تركت هذه الفرق آثارا عقائدية كان لها أكبر الأثر على معتقدات النصارى في كثير من مذاهبهم فيما يتصل بالطقوس والأعياد وبخاصة في عيد السيدة مريم.

(١) سورة المائدة الآيات (١١٦ :١١٨).

(٢) سورة المائدة: الآية (٧٥).

(٣) راجع: الفصل في الملل والنحل جـ١/ ٤٨.

[٣] فرقة الأليانية:

وهذه الفرقة تؤله المسيح وتقرر أنه ابن الله إلا أن لها تصوراً خاصًا حول هذه العقيدة وعقيدة الصلب؛ فهم يرون أن الصلب والآلام إنما وقع في العين كالخيال والصور في المرآة، وأن الكلمة لم تستغرق أكثر من لحظات، فهي مرت في بطن مريم كما يمر الماء بالميزراب، دخلت من أدناها وخرجت من محل خروج الولد من ساعته.

ويوضح الإمام الشهرستاني عقيدتهم بقوله عنهم: (إن الكلمة لم تأخذ من مريم شيئاً لكنها مرت بها كالماء بالميزراب، وما ظهر بها من شخص المسيح عليه السلام في الأعين فهو كالخيال والصورة في المرآة، وإلا فما كان جسما متجسما كثيفا في الحقيقة، وكذلك القتل والصلب إنما وقع على الخيال والحسبان)، وهؤلاء يقال لهم: الأليانية، وهم قوم بالشام واليمن وأرمنية قالوا: وإنما صُلب الإله من أجلنا حتى يخلصنا، وزعم بعضهم: أن الكلمة كانت تدخل جسم المسيح عليه السلام أحيانا، فتصدر عنه الآيات من: إحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص، وتُفارقه في بعض الأوقات فترد عليه الآلام والأوجاع[1].

ويؤخذ من قول الشهرستاني أن هذه الفرقة كانت تقول بأن المسيح ابن الله وأنه ذو طبيعتين؛ أحدهما بشرية وهي التي وقع عليها الصلب والتعذيب، والأخرى طبيعة إلهية وهي التي أحيا بها الموتى وأبرأ الأكمه والأبرص.

جـ - الفرق القديمة في عهد التثليث:

ويقصد بهذه الفرق التي ظهرت في عهد التثليث، والذي بدأ بعد كمال قانون الإيمان،

(١) الملل والنحل للشهرستاني ص ٢٤٢ بتصرف، وراجع: محاضرات في النصرانية ص ١٥٢.

وهم من يقولون بأن الله ثالث ثلاثة، الأب، الابن، وروح القدس، وهذه الفرق تتفق على ألوهية المسيح، إلا أنهم يختلفون في طبيعته؛ هل هي بشرية و إلهية؟ أو هي إلهية فقط؟ وما هي كيفية الاتصال بينهما؟ وعن مشيئة المسيح هل هي مشيئتان أم واحدة؟

ويحدد الإمام الشهرستاني مناطق الخلاف بين هذه الفرق في أمرين:

الأول: كيفية نزوله واتصاله بأمه، وتجسد[1] الكلمة.

الثاني: كيفية صعوده واتصاله بالملائكة وتوحد الكلمة.

أما التجسد فلهم في كيفيته وكذلك الاتحاد كلام: فمنهم من قال: أشرق على الجسد إشراق النور على الجسد المشف، ومنهم من قال: انطبع فيه انطباع النقش في الشمع، ومنهم من قال: ظهر به ظهور الروحاني بالجسماني، ومنهم من قال: تدرع اللاهوت بالناسوت، ومنهم من قال: مازجت الكلمة جسد المسيح ممازجة اللبن الماء والماء اللبن.

وقالوا في الصعود: إنه قتل وصلب، قتله اليهود حسداً وبغياً و إنكاراً لنبوته ودرجته، ولكن القتل ما ورد على الجزء اللاهوتي، و إنما ورد على الجزء الناسوتي؟

ولهم في النزول اختلاف، فبعضهم يرى أنه سينزل قبل يوم القيامة كما قال أهل الإسلام، وبعضهم يرى أنه لن ينزل إلا يوم الحساب؛ لأنه بعد أن قُتل وصلب نزل ورآه شمعون الصفا وتحدث إليه وأوصاه ثم فارق الدنيا وصعد إلى السماء().

فهذه الفرق المثلثة اتفقت في عقيدة إلوهية المسيح واختلفوا في غيرها من العقائد، ومن هذه الفرق:

(١) يقصدون بالتجسد: تجسد الله، ويعنون به الكلمة التي اتصلت بجسد عيسى.

[١] فرقة الملكانية:

أما عن سبب تسمية هذه الفرقة بالملكانية فيقول الإمام الشهرستاني: «إنها سميت بالملكانية نسبة إلى «ملكا» الذي ظهر بأرض الروم، واستولى عليها، ومعظم الروم ملكانية[1].

ويقول الإمام ابن حزم: هي مذهب جميع ملوك النصارى، ومذهب عامة أهل كل مملكة النصارى، ومذهب جميع نصارى أفريقية وصقلية والأندلس، وجمهور الشام[2]، وقال بهذا الإمام ابن القيم[3].

آراؤهـــم:

١- يقولون بأقنوم العلم، ويعتبرونه الكلمة التي اتحدت بجسد المسيح وتدرعت بناسوته، وهم يقولون باللاهوت والناسوت، وأن الروح القدس يعنون به أقنوم الحياة ويقولون عن الاتحاد: إن الكلمة مازجت جسد المسيح كما تمازج الخمر اللبن أو اللبن الماء.

٢- قالوا: إن المسيح ناسوت كلي لا جزئي، وهو قديم أزلي، من قديم أزلي، وقد ولدت مريم عليها السلام إلها أزليا، والقتل والصلب وقعا على الناسوت واللاهوت معاً، وأطلقوا لفظ الأبوة والبنوة على الله عز وجل، وعلى المسيح.

٣- وقالوا: إن الله تعالى عبارة عن ثلاثة أقانيم: أب، وابن، وروح القدس

(١) المرجع السابق ص ٢٣٦ بتصرف.
(٢) الفصل في الملل والنحل جـ٢/ ٤٨.
(٣) راجع: هداية الحيارى ص ٣٠٩.

وكلها لم تزل، وأن عيسى عليه السلام إله تامّ كله وإنسان تام كله، ليس أحدهما غير الآخر، وأن الإنسان منه هو الذي صلب وقتل، وأن الإله منه لم ينله شيء من ذلك، وأن مريم ولدت إلهاً وإنساناً، وأنهما معاً شيء واحد ابن الله، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

وهؤلاء هم الذين أخبر الله تعالى عنهم في القران الكريم بقولة: ﴿لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۖ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ ۘ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۚ وَإِن لَّمْ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾﴾[1].

٤- تؤمن هذه الفرقة بالقيامة وبحشر الأبدان، ومنهم من قال بحشر الأرواح دون الأبدان، وأن عاقبة الأشرار في القيامة غم وحزن وجهل، وعاقبة الأخيار سرور وفرح، وأنكروا أن يكون في الجنة نكاح وأكل وشرب.

٥- ومن مبادئهم التشريعية أنهم لا يختنون، وربما أكل بعضهم الميتة، وممن اعتنق مذهبهم: «الروم، والفرنجة ومن والاهم»[2].

هذا المذهب تمثله في هذا الزمان الكنيسة الكاثوليكية الغربية فهذه امتداد لتلك، وأضافت إلى هذه التعاليم: عصمة البابا، والعشاء الرباني، وصكوك الغفران وغيرها.

(١) سورة المائدة: الآيتان (٧٢، ٧٣).

(٢) راجع في ذلك: الملل والنحل للشهرستاني ص ٢٣٦، الفصل في الملل والنحل جـ١/ ٤٨، هداية الحيارى ص٣٠٩، الانشقاق الكنسي ص ١٤١.

[٢] فرقة النسطورية:

وهم ينتسبون إلى «سنطور» ويذكر الإمام الشهرستاني أنه ظهر أيام المأمون[1]، وهذا غير مستقيم؛ لأن سنطور كان بطريركاً للقسطنطينية سنة ٤٢٨م، وقد انعقد مجمع أفسس الثالث سنة ٤٣١م للحكم على أفكاره وآرائه فحكم بتكفيره وتحريم كتبه[2].

مذهبه وعقيدته:

وأما عن المذهب فيقول سنطور: (إن مريم لم تلد إلهاً، بل ما يولد من الجسد إلا الجسد، وما يولد من الروح هو روح، إن الخليقة لم تلد الخالق بل ولدت إنساناً هو إله للاهوت[3] وأن الله تعالى لم يلد الإنسان، وإنما ولد الإله، تعالى الله عن كفرهم[4].

وهو بذلك يرى أن الأقنوم الثاني وهو الابن لم يتجسد ولم تلده مريم، بل إن مريم ولدت الإنسان فقط، ثم اتحد ذلك الإنسان بعد ولادته بالأقنوم الثاني، وهذا الاتحاد مجازي وليس حقيقيا، فهو بمنزلة الابن[5].

وهم يقولون: إن القتل والصلب وقع على المسيح من جهة ناسوته لا من جهة لاهوته؛ لأن الإله لا تحله الآلام[6].

(١) راجع: الملل والنحل ص ٢٣٩.

(٢) راجع: تاريخ الأقباط جـ١/ ١٦٠، والفصل جـ١/ ٤٨.

(٣) تاريخ الأقباط جـ١/ ١٦٠.

(٤) راجع: الفصل في الملل والنحل جـ١/ ٤٨.

(٥) راجع: محاضرات في النصرانية ص ١٥٧.

(٦) راجع: الملل والنحل ص ٢٤٠.

مكتبة المهتدين http://al-maktabeh.com

ومن أتباع سنطور من يقول: بأن للمسيح شخصين وطبيعتين لهما مشيئة واحدة، وأن طبيعة اللاهوت لما وجدت بالناسوت صار لها إرادة واحدة، واللاهوت لا يقبل زيادة ولا نقصانا ولا يمتزج بشيء، والناسوت يقبل الزيادة والنقصان، فكان المسيح بذلك إلهاً وإنساناً، فهو الإله بجوهر الناسوت الذي يقبل الزيادة والنقصان[١].

وهذه الفرقة يوجد لها أتباعها في الموصل والعراق وفارس وخراسان[٢]، ولا يزال يوجد بعضهم إلى اليوم في جبل سنجار في حدود إيران وفي مليار بالهند ولهم كنائس في تلك الجهات تؤمن بالعقيدة النسطورية، يقول جاد المنفلوطي: (واصلت الكنيسة النسطورية التقدم والانتشار وحازت شهرة كبيرة في خلال هذه الفترة من العصور الوسطى)، وفي القرن الثالث عشر الميلادي، كان هناك سبعون أبرشية خاضعة للبطريق النسطوري، وهذه الأبرشيات كانت تضم جموعاً غفيرة من المسيحيين المنتشرين بين إدسا في سوريا وبكين في بلاد الصين، ومن سيبريا في روسيا حتى جنوب بلاد الهند، لكن بين القرنين الثالث عشر والخامس عشر خسرت الكنيسة النسطورية الكثير من مناطق نفوذها بسبب هجمات المغول، ومنذ ذلك الحين لم تتمكن تلك الكنيسة من استعواض خسائرها ولا زالت في بلاد الفرس وإيران وسوريا بعض الكنائس النسطورية[٣].

وهم يلتزمون بتقاليد دينية مما يلتزم به عند غيرهم من الكنسيين، وليس عندهم تقاليد إلا أن أساقفتهم يلتزمون التبتل، والامتناع عن الزواج، وذلك منذ سنة ١٨٣٠م[٤].

(١) هداية الحيارى ص ٣١٠، النصيحة الإيمانية ص ٦٠.
(٢) الفصل في الملل والنحل جـ١/ ٤٨.
(٣) المسيحية في العصور الوسطى ص ١٥٥، ١٥٦.
(٤) راجع: محاضرات في النصرانية ص ١٥٩.

[٣] فرقة اليعقوبية:

وهم ينسبون إلى يعقوب «البرذعاني» الذي كان راهباً بالقسطنطينية[١]، ويقول الإمام ابن القيم: (هم أتباع يعقوب البرادعي، وَلُقِّبَ بذلك لأن لباسه كان من خرق برادع الدواب يرقع بعضها ببعض ويلبسها، ولم يكن يعقوب هو مؤسس هذه الفرقة، وإنما نسبت إليه؛ لأنه كان من أنشطها)[٢].

وكان ظهور هذه الفرقة بعد المجمع القسطنطيني الثاني سنة ٥٥٣م، الذي قرر مذهب الطبيعة الواحدة سبباً في تشجيعهم على إقامة كنيسة منفصلة تعرف باسم الكنيسة اليعقوبية[٣].

أتباع اليعقوبية:

انتشرت اليعقوبية في بلاد كثيرة؛ وذلك لنشاط الداعي إليها وهو يعقوب البرادعي، فقد كان داعية قوي الشكيمة قوي العارضة بليغ الأثر، وأخذ يجول في البلاد الرومانية إلى مصر، يدعو الناس إلى اعتناق مذهب الكنيسة المصرية ويبث ذلك المذهب في نفوسهم ويدخله في قلوبهم، وسلك في سبيل ذلك المخاطرة والجرأة، ولا يأبه لقوة مهما تكن ولا لذي خطر مهما يكن شأنه[٤].

وانتشر هذا المذهب في بلاد النوبة والحبشة وفي سوريا وبلاد الشام، وتطلق على كنيستهم الكنيسة (السريانية) أو العاقبة، ومذهبها هو مذهب كنيسة الأقباط في مصر.

(١) الفصل جـ١/ ٤٨.
(٢) هداية الحيارى ص ٣٠٨.
(٣) راجع: يا أهل الكتاب تعالوا ص ٢٣٤.
(٤) راجع: محاضرات في النصرانية ص ١٤٠.

وإن كانت كنيسة الأقباط: سابقة على هذا المذهب؛ لأن مذهبها نشأ قبل المذهب اليعقوبي، وأصبح مذهبا جديدا في المسيحية[١].

عقائد الكنيسة اليعقوبية:

١- يقولون بالأقانيم الثلاثة، وأن الكلمة انقلبت لحماً ودماً، فصار الإله هو المسيح وهو الظاهر بجسده، ومنهم من يقول: (إن المسيح هو الله، ومنهم من قال: ظهر اللاهوت بالناسوت فصار ناسوت المسيح مظهر الجوهر، لا على طريق حلول جزء فيه ولا على سبيل اتحاد الكلمة التي هي حكم الصفة، بل صار هو هو، وهذا كما يقال: ظهر الملك بصورة إنسان، أو ظهر بصورة حيوان)[٢].

٢- يقولون إن للمسيح طبيعتين؛ لاهوتية وناسوتية اتحدتا في طبيعة واحدة فصار إلها واحداً وإنساناً واحداً، وهذه الطبيعة الواحدة والشخص الواحد هو المسيح، وهو إله كله وإنسان كله، وهو شخص واحد، وطبيعة واحدة من طبيعتين.

٣- يقولون: إن مريم ولدت الله عز وجل وأنه تألم وصلب متجسداً ودقت المسامير في يديه ورجليه ومات، ودفن وقام من بين الأموات بعد ثلاثة أيام وصعد إلى السماء[٣].

وقالوا: إن القتل والصلب وقع على الجوهر الذي هو من جوهرين، وقالوا: لو وقع على أحدهما لبطل الاتحاد[٤].

(١) المجامع المسيحية ص ٢٨٢ بتصرف.
(٢) الملل والنحل ص ٢٤١.
(٣) النصيحة الإيمانية ص ٥٩.
(٤) الملل والنحل ص ٢٤٢.

وبعد: فهذه هي الفرق الثلاثة القديمة النصرانية التي قالت بالتثليث، وقد لعبت دوراً رئيسياً في تشكيل العقيدة المسيحية على مر التاريخ، إلا أن أسماءها لم تعد باقية إلى اليوم وإن كانت آراؤها هي التي تحكم الفرق الموجودة في هذه الأيام مثل الكاثوليك والأرثوذكس والبروتستانت.

المبحث الثالث

الكنائس النصرانية المعاصرة وعقائدها

يوجد في النصرانية المعاصرة ثلاث كنائس وهي:

[١] كنيسة الأرثوذكس.

[٢] كنيسة الكاثوليك.

[٣] كنيسة البروتستانت.

ويدور الحديث في هذا المبحث ـ إن شاء الله ـ عن هذه الكنائس والمذاهب التي انشقت عنها وبيان عقائدها.

أولا: الكنيسة الأرثوذكسية وعقائدها:

الأرثوذكس معناها: «الدين القويم»؛ لأنها مأخوذة من كلمة يونانية معناها: الحق القويم أو المذهب المستقيم، ولهذا عرفت الكنيسة الأرثوذكسية بأنها الكنيسة القاطعة كلمة الحق باستقامته المقدسة التي لا عيب فيها ولا دنس[١].

وتعرف الكنيسة الأرثوذكسية بكنيسة الروم الأرثوذكس الشرقية أو اليونانية؛ لأن أكثر أتباعها من الروم الشرقيين ومن البلاد الشرقية على العموم كروسيا، والبلقان واليونان وكان مقرها الأصلي القسطنطينية[٢].

وظهرت هذه الكنيسة بعد مجمع القسطنطينية عام ٨٧٩م الذي قرر أن الروح

(١) النصرانية، دراسة مقارنة ص ١٩٢.

(٢) المسيحية ص ٢٣٨.

القدس انبثق من الأب ورفض قرارات مجمع القسطنطينية الذي سبق انعقاده عام ٨٦٩ م والذي تقرر فيه أن الروح القدس منبثق من الأب والابن، وقد أعقب ذلك أن انسلخت كنيسة القسطنطينية عن الكنيسة الأم، أطلقت الكنيسة اليونانية على نفسها كنيسة الروم الأرثوذكس وهي لا تعترف لبابا روما بالسيادة.

عقائد كنيسة الأرثوذكس:

تعتقد الكنيسة الأرثوذكسية أن الله واحد في ثلاثة أقانيم، هم الأب، الابن، الروح القدس، وأن هذه الأقانيم الإلهية هم طبيعة واحدة، وذات واحدة، وجوهر واحد، وقد دعا الأقنوم الأول أباً ووالداً، ودعا الأقنوم الثاني ابناً أو مولوداً، وليس المقصود بالولادة هنا خروج كائن من كائن أو الانتقال من اللاوجود إلى الوجود، وإنما المقصود بها أن الأقنوم الأول هو بمثابة ينبوع أعطى الأقنوم الصادر عنه طبيعته وجوهره كله.

وقد دعا الأقنوم الثالث الروح القدس، ليس لأن بينه وبين الأقنومين الآخرين تمييزاً في روحانية الجوهر، فهم متساوون في ذلك، والروح القدس ـ وإن كانت له طبيعة الأب وجوهره كالابن ـ إلا أنه لم يدع ابناً أو مولوداً، بل يقال له روح منبثق؛ أي صادر عن الأب، وهذا سر من أسرار اللاهوت الغامضة التي لا يمكن إدراك كنهها بالعقل البشرى، وإنما ينبغي أن نؤمن بها كما وردت في الأناجيل[١].

كما تعتقد الكنيسة الأرثوذكسية بأن الروح القدس منبثق من الأب فقط على نحو ما جاء في قرار المجمع القسطنطيني الأول عام ٣٨١م، وتعتقد أن للمسيح بعد التجسد طبيعتين؛ إلهية وإنسانية اتحدتا فيه بلا امتزاج ولا انفصال وألفتا أقنوماً واحداً هو يسوع المسيح الإله المتأنس.

(١) تاريخ الأقباط جـ١/ ٢٤٠، ٢٤١ وما بعدها بإيجاز.

وتعتقد أن تفسير الكتاب المقدس من اختصاصات معلمي الكنيسة ورجالها دون غيرهم، وتعتقد بتكريم الصور والأيقونات التي هي للمسيح والقديسين، ووجوب السجود لها، ولا تقول بعصمة البابا وتعترف بأسرار الكنيسة السبعة[١].

الكنائس المنشقة عن الكنيسة الأرثوذكسية:

لقد انشقت عن الكنيسة الأرثوذكسية عدة طوائف، وصار لكل منها مذهبها وكنيستها، وهذه الطوائف هي طائفة الأقباط الأرثوذكس، وطائفة العاقبة الأرثوذكس، والنسطورية والأقباط الأرثوذكس، والأرمن، والمارونية، وقد سبق الحديث عن العاقبة والنسطورية، ويأتي الحديث عن الطوائف الباقية.

[١] كنيسة الأقباط الأرثوذكس:

وكلمه الأقباط: تعنى المصريين، وهي مجتزأة من كلمة (إيجيبتوس) التي أطلقتها اليونان على مصر، بعد حذف علامة الرفع (أوس) تصبح الكلمة (إيجيبت) مكونة من مقطعين (أي) وتعنى أرض أو دار، وجيبت، أي قفط أو جفط فيكون المعنى: أرض القبط أو دار القبط، وبعد حذف أداة التعريف (إي) تصير (جيبت) ثم نطقها العرب في مصر (قبط)[٢].

وتعتبر الكنيسة القبطية من أبرز الكنائس المنشقة عن الكنيسة الأرثوذكسية، وحدث ذلك على أثر قرارات مجمع خلقيدونية؛ فقد قرر (أن للمسيح طبيعتين ومشيئتين) وذلك في مقابلة أصحاب مذهب الطبيعة الواحدة والمشيئة الواحدة الذي قال به «أوطيخا وديقسورس» وتعتقد الكنيسة الأرثوذكسية القبطية

(١) راجع: النصرانية دراسة مقارنة ص ١٩٧، ١٩٨ - المسيحية في العصور الوسطى ص ١٥٣.
(٢) راجع: تاريخ الأقباط جـ١/ ٥، ٦ مذكرات في معالم تاريخ الكنيسة القبطية الأرثوذكسية جـ١/ ٣.

بطبيعة واحدة ومشيئة واحدة للمسيح ولا تعترف بمجمع خلقدونية ولا بمجامع القسطنطينية[١].

ومنذ هذا المجمع ولدت كنيسة الأقباط المصرية الأرثوذكسية في مصر ترأسها اليوم كنيسة الكاتدرائية بالعباسية بالقاهرة تحت رياسة البابا شنودة الثالث، وقد ذكر في مجلة الكرازة المسيحية أن الكنيسة القبطية يتبعها كنائس في كندا وأمريكا، ففي كندا يوجد تسع كنائس قبطية، وفي أمريكا نيويورك وشرق أمريكا وجنوبها وغربها كاليفورنيا يوجد اثنتان وثلاثون كنيسة تقريبا، وكلهن يقوم على خدمتهن أساقفة أقباط تابعون لمذهب الأقباط بمصر[٢].

عقائد الكنيسة القبطية الأرثوذكسية ومبادئها:

يوضح صاحب تاريخ الأقباط عقيدة الأقباط بقوله:

١- تعتقد الكنيسة القبطية أن للمسيح بعد التجسد طبيعة واحدة متحدة.

٢- تعتقد الكنيسة القبطية أن الروح القدس منبثق من الأب وحده.

٣- تعتقد الكنيسة القبطية ومعها سائر الكنائس غير البروتستانتية بوجود نظام الكهنة ووجوب إقامة المذبح والبخور والهيكل والحجاب وسائر الطقوس المتعلقة بذلك.

٤- تعتقد الكنيسة القبطية أن الإيمان والأعمال معا ضرورة للخلاص لكونها علة التبرير.

(١) النصرانية دراسة مقارنة ص ١٩٩ بتصرف.
(٢) راجع: مجله الكرازة المسيحية - السنة السابعة عشر سنة ١٩٨٩م ص ١٨ وما بعدها.

٥- تحافظ الكنيسة القبطية على التقليد وهو النظام الذي تلقته عن الرسل وآباء الكنيسة الأوائل، ولم يدون في الكتب.

٦- تعتقد الكنيسة القبطية في قدسية الأسرار السبعة.

٧- تتمسك الكنيسة القبطية بفريضة الصوم.

٨- رتبت الكنيسة القبطية أعياداً خاصة تقيمها إكراماً للمسيح وللشهداء والقديسين.

٩- تعتقد الكنيسة القبطية أن للشهداء والقديسين مقاماً رفيعاً أمام الله؛ ولذلك تطلب احتياجاتها من الله بواسطتهم، أي أنها تستشفع بهم، وتقدس صور القديسين للتذكرة والعبرة.

١٠- تعتقد الكنيسة القبطية بوجوب الصلاة على أنفس المنتقلين الصالحين وطلب الرحمة لها.

١١- تعتقد الكنيسة القبطية بصحة نظام الرهبنة.

١٢- تعتقد الكنيسة القبطية ومعها سائر الكنائس الرسولية أن السيد المسيح بعد موته ذهبت نفسه الطاهرة وهي متحدة باللاهوت إلى الجحيم وخرجت نفس آدم وحواء وجميع الأنفس المسجونة بطائلة الخطيئة الأصلية وماتوا على الرجاء وأصعدتهم إلى الفردوس.

١٣- تعتقد الكنيسة القبطية ومعها سائر الكنائس الرسولية بقانونية الأسفار المحذوفة وهي أسفار طوبيا ويهوديت والحكمة وابن سيراخ والمكابين الأول والمكابين الثاني وبروخ وبعض قطع من سفري أستيرو دانيال.

١٤- تعتقد الكنيسة القبطية ومعها سائر الكنائس الرسولية أن درجات الكهنوت ثلاث؛ وهي الأسقفية والقسوسية والشماسية[١].

[٢] كنيسة الأرمن:

انشقت كنيسة الأرمن عن كنيسة الأرثوذكس بعد مجمع خلقدونية عام ٤٥١م، والذي قرر أن للمسيح طبيعتين فرفضوا ذلك؛ لأنهم يعترفون بأن للمسيح طبيعة واحدة ومشيئة واحدة؛ مخالفين بذلك عقيدة الأرثوذكس، مما سبب الانشقاق بينهما، وموطنهم الأصلي أرمنيا، وينتشرون في مصر، وبعض بلاد الشرق الأوسط، ولهم تقاليد وطقوس دينية مختلفة، ولهم بطاركة مستقلون بهم؛ وذلك لاستقلالهم عن الكنائس الأخرى[٢].

وهم لا يستعملون زيت الزيتون في التقديس بل يستبدلونه بزيت السرج، ويقولون في التقديس: (قدوس الله - قدوس القوي - قدوس الذي لا يموت، المصلوب لأجلنا)[٣].

[٣] الكنيسة المارونية:

تنسب المارونية إلى «يوحنا مارون»، أحد رهبان دير مارون في جبال لبنان، واشتهر يوحنا برأيه سنة ٦٦٧م، وهو أن المسيح ذو طبيعتين، ولكنه ذو إرادة أو مشيئة واحدة، وهو مذهب بين المذهبين المشهورين بين الكنائس، وهما المذهب القائل بالطبيعتين والمشيئتين والمذهب القائل بالطبيعة الواحدة والمشيئة الواحدة.

وبعد أن حكم مجمع القسطنطينية الثالث (٦٨١م) بلعن وتكفير يوحنا

(١) تاريخ الأقباط جـ١/ ٢٧٥ - ٢٧٧ بتصرف.

(٢) راجع: النصرانية والإسلام للطهطاوي ص ١٤٢، تاريخ الكنيسة الإنجيلية ص ٣٩.

(٣) المجامع المسيحية ص ٥٠٠.

al-maktabeh

وحرمانه هو ومن ذهب مذهبه وانتحل نحلته خرج يوحنا بمذهبه، وأسس كنيسة المارونية، وكان هو أول أسقف لها في سنة ٦٨٥م.

ونزل بأتباع الطائفة الأذى والاضطهاد الشديدان، مما ألجأهم إلى الفرار إلى جبال لبنان واعتصموا بها واستوطنوها، إلى أن استمالهم أساقفة روما وقربوهم إليهم باستعمال الحيلة والسياسة، حتى خضعوا للرئاسة البابوية في روما مع عدم اتفاقهم معهم في الآراء على أن يبقوا على ذلك، وتم هذا الاتحاد سنة ١١٨٢م، وما زالت هذه الطائفة تسكن جبال لبنان ولها كنائسها وبطاركتها الخاصة بهم، وإن كانت تقر بالرياسة لبطريك روما[١].

وطائفة المارونية لا تتفق مع الكاثوليك في شيء، وهم أقرب للأرثوذكس ويشتركون معهم في عدة أمور منها:

١- أنهم يبيحون زواج الكهنة.

٢- ويتناولون الأسرار الظاهرة تحت الشكلين أي الكاثوليكي، والأرثوذكسي؛ وعلى هذا فالكنيسة المارونية قد أخذت مذهبها من الكنيستين؛ إذ أنهم يوافقون الأرثوذكس في أكثر الأمور، ولكنهم يتحدون مع الكنيسة البابوية، وكان الأولى والأسهل أن يتحدوا مع الكنيسة الأرثوذكسية والمتفرعين عنها[٢].

وهذا إن دل فإنما يدل على أن هذه الكنائس خاضعة في عقيدتها ومبادئها إلى أهواء قساوستهم ورجال الدين عندهم.

(١) راجع: محاضرات في النصرانية ص١٤٣، ١٦٠، الأسفار المقدسة ص١٣٤، النصرانية والإسلام للطهطاوي ص١٣٩، مناظرة بين الإسلام والنصرانية ص ٢٥٤.
(٢) راجع: المجامع المسيحية ص ٤٩٩. (م ٩ الكنيسة).

ثانيا: الكنيسة الكاثولوكية[١] وعقائدها:

المذهب الكاثوليكي: هو مذهب الكنيسة الكاثوليكية الغربية المنشقة عن الكنيسة الشرقية، وذلك بعد المجمع المسكوني الثامن، واختلافهم على انبثاق الروح القدس، فقالت الكنيسة الغربية: إن الروح القدس منبثق عن الأب فقط؛ مما ترتب عليه حدوث الاختلاف بينهما وانشقاق كل واحدة منهما عن الأخرى، وكونت الكنيسة الغربية الكاثوليكية مذهبا خاصا بها[٢].

ويدعي الكاثوليك أن مؤسس كنيستهم بطرس الرسول كبير الحواريين ورئيسهم، وأن بابوات روما خلفاؤه، ولذلك فَهُمْ يسمون كنيستهم بالبطرسية أو الرسولية أو اللاتينية أو العامة؛ لأنها تُدعى أم الكنائس ومعلمتها، ولأنها وحدها التي تنشر المسيحية في بلاد العالم، وتسمى أم الكنائس ومعلمتهن؛ لأن معنى كاثوليك (العام)، وتسمى كذلك الغربية اللاتينية؛ لامتداد نفوذها إلى الغرب اللاتيني مثل بلاد: إيطاليا، وبلجيكا، وفرنسا، وأسبانيا، والبرتغال، وشعوبها منتشرة في أقطار الغرب، كما تسمى كذلك كنيسة روما[٣].

والبلاد التي يدين أهلها بالمذهب الأرثوذكسي يوجد فيها نصارى كاثوليك يتبعون كنيسة روما، ويرأسهم بطاركة كاثوليك خاضعون لرياسة بابا روما، ويتبع هذه الكنيسة مجمع الكنائس، وهو مكون من مجلس الكرادلة ويرأسه البابا، ولهذا المجمع الحق في إصدار إرادات بابوية، وهي في نظرهم إرادات إلهية.

(١) جاءت كلمة «كاثوليك» ومنها «الكثلكة» من الكلمة اليونانية «كاثوليكوس»، بمعنى جامعة؛ لذا فإن القول بالكنيسة الكاثوليكية يعني الجامعة - راجع: تاريخ الكنيسة الإنجيلية ص ٢٦.
(٢) راجع: الأسفار المقدسة ص ١٣٦، المسيحية ص ٣٤٧.
(٣) النصرانية، دراسة مقارنة ص ٢٠٣.

مبادئ الكنيسة الكاثوليكية وعقائدها:

١- تعتقد الكنيسة الكاثوليكية بأن الله واحد بثلاثة أقانيم إلهية متساوية في الجوهر والصفات، وهي: الأب والابن والروح القدس، والثلاثة عندهم آلهة.

٢- تعتقد الكنيسة الكاثوليكية أن للمسيح طبيعتين بعد الاتحاد، أحدهما لاهوتية والأخرى ناسوتية.

٣- تعتقد بأن الروح القدس منبثق من الأب والابن.

٤- تعتقد الكنيسة الكاثوليكية بالنار المطهرية التي تعتقل فيها النفوس التي لم تَصِلْ إلى درجة النقاوة الكاملة، وتظل تعذب في النار عذابا أليما حتى تفي ما بقى عليها من الدَّين للعدل الإلهي، وعندئذ يسمح لها بدخول الملكوت.

٥- تعتقد الكنيسة الكاثوليكية بأن الكنيسة لها الحق في مغفرة الخطايا للأفراد بدون توبة؛ لأنها هي التي تملك حق الغفران للخطايا لمن تشاء، لذلك راحت تبيع صكوك الغفران، بل وذهبت إلى أن الغفران ليس قاصرا على الأحياء، وإنما ينسحب كذلك على النفوس القائمة بعد الموت في المطهر.

٦- تعتقد في عِصمة البابا من الخطايا، وأنه يحق له أن يفعل ما يريد ويشرع لهم ما يشاء.

٧- يتم التعميد عند الكاثوليك عن طريق الرش، ويتم المسح بالميران بعد بلوغ سن الرشد.

٨- ليس بلازم استعمال الخبز المخمر في إتمام سر التناول، بل يكفي في ذلك الفطير، ومنعت عامة الشعب من تناول الدم الكريم واقتصرت على رجال الدين.

٩- حرمت الكنيسة الكاثوليكية الزواج على جميع رجال الدين.

١٠-حرمت الطلاق في جميع الأحوال حتى في حالة الزنا، وكل ما تبيحه في هذه الحالة التفرقة الجسدية بين الزوجين مع اعتبار الزوجية قائمة بينهما من الناحية الشرعية.

١١- لا يمسح بالزيت المقدس إلا للمشرفين على الموت.

١٢- اتخذت الكنيسة الكاثوليكية التماثيل المنحوتة، والصور للمسيح والقديسين.

١٣- أباحت الكنيسة الكاثوليكية ما حرمه مجمع أورشليم من حرمة الدم ولحم المنخنقة.

١٤- تفسير الكتاب المقدس مختص بالبابا دون غيره؛ فهو أعلى من المجامع[1].

الكنائس المنشقة عن الكنيسة الكاثوليكية وعقائدها:

[١] كنيسة الكاثوليك القدماء:

نشأت هذه الكنيسة بعد المجمع المسكوني العشرين المنعقد عام ١٨٦٩م، والذي قرر عصمة البابا؛ مما ترتب على ذلك انشقاق الكنيسة الكاثوليكية إلى شقين: الكنيسة الكاثوليكية القديمة، وأتباعها يرفضون قرار عصمة البابا، والكنيسة الكاثوليكية الحديثة التي تقول بعصمة البابا، وعلى أثر هذا القرار الذي قرره المجمع قام أكابر اللاهوتيين الألمانيين، وكذلك الآباء الفرنسيون، والإيطاليون وكثير من المسيحيين الغربيين برفض هذه العقيدة المضادة للكتاب

(١) راجع في ذلك:
١- تاريخ الأقباط جـ٢/ ٢٧٧ - ٢٧٩.
٢- الأسفار المقدسة ص ١٣٧ - ١٣٩.
٣- يا أهل الكتاب تعالوا ص ٢٦١.
٤- الأديان في كفة الميزان ص ٤٨.
٥- النصرانية دراسة مقارنة ص ٢٠٣ وما بعدها.
٦- الانشقاق الكنسي ص ١٥٧ وما بعدها.

المقدس، وهجروا الكنيسة البابوية ولقبوا أنفسهم كاثوليك قدماء، وأرادوا بهذه التسمية أن يدللوا على أنهم كاثوليك حقيقيون يحافظون على عقائد الكنيسة الكاثوليكية، ويرفضون البدع العصرية الجديدة مثل عصمة البابا وغيرها.[١]

عقائد الكاثوليك القدماء:

يخالف الكاثوليك القدماء الكنيسة الكاثوليكية وعقائدها فيما يأتي:

١- رفضوا عصمة البابوية التي قررها المجمع الفاتيكاني العشرون المنعقد سنة ١٨٦٩م.

٢- رفضوا الاعتقاد بأن مريم ولدت بلا خطيئة، أي بلا دنس في حملها.

٣- أدخلوا في عقيدتهم اللغة المفهومة من الشعب عوضا عن اللغة اللاتينية التي كانوا يستعملونها بالإلزام.

٤- قرروا وجوب انتخاب رجال الدين (الأكليروس) بصوت الشعب.

٥- أبطلوا العادة البابوية، وهي أن يتناول الشعب الأسرار الطاهرة تحت شكل الخبز فقط.

٦- عزموا على إبطال تولية الأكليروس الإجبارية.

٧- وقفوا في وجه البابوية، وطالبوا بالاتحاد مع الكنيسة الأرثوذكسية إلا أنه لم يتم ذلك؛ لاختلافهم في انبثاق الروح القدس، وعلى ذلك فالكنيسة الكاثوليكية القديمة تخالف الكاثوليك والأرثوذكس في مذهبها وعقيدتها[٢].

(١) راجع: المجامع المسيحية ص ٤٥٦، يا أهل الكتاب تعالوا ص ٢٥٤.
(٢) راجع: النصرانية دراسة مقارنة ص ٢٠٦.

[٢] الكنيسة الإنكليكانية:

نشأت الكنيسة الإنكليكانية على يد (يوحنا وكلف) الذي عارض تعاليم الكنيسة البابوية الغربية وحارب معتقداتها، إلا أن الكنيسة وقفت ضده هو وأتباعه واتهمتهم بالهرطقة.

يقول الدكتور / رءوف شلبي:

ظهر يوحنا وكلف الذي عكف على وضع حلول للعلاقة بين السلطتين العلمانية والكنيسة ووصل إلى: (أن الرب وحده له ملك السماوات والأرض، وأن جميع الصالحين لهم حق في ملكية الأرض، وأن هذه الملكية حق عامّ مشاع بينهم؛ لأن الملكية الفردية إنما جاءت نتيجة لخطيئة آدم، وعلى ذلك لا يصلح أن تتردى الكنيسة في هذه الخطيئة، وكانت عاقبته أن طُرد هو وأتباعه من «أكسفورد» واعتزل بقية حياته في قريته حتى مات عام ١٣٨٣م)[١].

إلا أن مبادئه لم تمت بموته، بل قام هذا المذهب على يد أتباعه وأسسوا كنيستهم المسماة الإنكليكانية، والتي قامت مبادئها على تعاليم «يوحنا وكلف» وساعدهم على نشر مبادئهم وعقيدتهم، وانفصالهم عن الكنيسة البابوية الملك «هنري الثامن» الذي اعتبر نفسه رئيساً لكنيسة إنجلترا، وبذلك حلت كنيسة إنجلترا محل كنيسة روما[٢].

عقائد الكنيسة الإنكليكانية:

١- تعتقد الكنيسة الإنكليكانية بانبثاق الروح القدس من الأب والابن.

(١) يا أهل الكتاب تعالوا صـ٢٦٨، المسيحية في العصور الوسطى ص ١٧٢- ١٧٥.
(٢) راجع: المجامع المسيحية ص ٥٠٨.

٢- تعتقد بأن المجامع المسكونية التي عقدتها الكنيسة يجوز أن تخطئ.

٣- لا تعترف إلا بسر المعمودية وسر العشاء الرباني من بين أسرار الكنيسة السبعة.

٤- أنكروا عقيدة استحالة الخبز والخمر في العشاء الرباني إلى جسد المسيح ودمه الأقدسين.

٥- عدم اعتبارها سر الأفخارستيا كذبيحة كفارة عن الخطايا.

٦- إنكار عصمة البابا وإنكار ادعائه أنه نائب عن المسيح في الأرض، وإنكار صكوك الغفران[١].

[٣] الكنيسة اليانسانسئية:

انشقت كنيسة اليانسانسئية عن الكنيسة الغربية على يد أحد المصلحين وهو (كرنيليوس بانسنيوس) أسقف مدينة هيرة سنة ١٨٣١م، وانتشر مذهبه في هولندا وبلاد البلجيك وأسس كنيسة في تلك البلاد وجعلها مستقلة تماما عن الكنيسة الكاثوليكية الغربية، ولا يخضعون لبابا روما.

وعلى هذا فإن هذه الكنيسة تخالف الكنيسة الغربية في أنها لا تعترف بسيادة البابا عليها ولا تعترف كذلك بعصمة البابا، وهذه الكنائس الثلاث (الكاثوليك القدماء، والإنكاليكانية، واليانسانسئية) هي أهم الكنائس التي انشقت عن الكنيسة الغربية انشقاقا تاما[٢].

وتوجد كنائس أخرى تعتنق المذهب الكاثوليكي غير الثلاثة السابقة،

(١) راجع: كنز النفائس في اتحاد الكنائس ص٦٦، ٦٧، المسيحية في العصور الوسطى ص١٧٣.
(٢) المجامع المسيحية ص٥٠٩.

ومن هذه الطوائف الكاثوليكية في مصر، طائفة الروم الكاثوليك، الكلدان الكاثوليك، والموارنة الكاثوليك، والسريان، والأقباط الكاثوليك، واللاتينيون الكاثوليك، وهذه الطوائف الكاثوليكية تتحد مع الأقباط الكاثوليك[١] في الأمور التالية:

١- الاعتراف بالرئاسة العليا للبابا في روما.

٢- وحدة الاعتقاد الديني في جميع المبادئ على الإطلاق.

٣- وحدة قانون الزواج.

٤- عدم إجازة التطليق والاستعاضة عنه بالتفريق الجسماني[٢].

ثالثا: الكنيسة البروتستانتية وعقائدها[٣]:

ظهر المذهب البروتستانتي في خلال القرن السادس عشر، وكان بداية ظهوره في ألمانيا حيث نادى به الراهب الألماني «مارتن لوثر» وانتشر في الشرق خلال القرن التاسع عشر عن طريق الإرساليات الأمريكية وتبعه أنصار من المسيحيين على اختلاف طوائفهم.

وهذا المذهب لا يعترف برئاسة دينية ولا يرى في رجال الدين وعلى رأسهم البابا إلا رجالا عاديين اختيروا لتمثيل الشعب وقيادته، فلا يملكون منح الغفران، وإنما يُمنح

(١) راجع: تاريخ الكنيسة الإنجيلية في مصر ص ٢٩ وما بعدها.
(٢) شرح الأحوال الشخصية للمصريين الغير مسلمين - تادرس ميخائيل تادرس ص ١٥٠.
(٣) أطلق على هذه الطائفة اسم البروتستانتية: أي نحلة الحجتين أو المعترضين، وجاء في المعجم الوسيط: البروتستانتية: مذهب مسيحي نشأ من حركة الإصلاح الكنسي التي قام بها (لوثر) ويدعو إلى تحرير الفرد من سلطان الكنيسة وجعله مسؤلا أمام الله وحده، ويقابله (الكاثوليكية) (والأرثوذكسية) - المعجم الوسيط جـ١/ ٥٣ باب الباء - ط (٢) مجمع اللغة العربية.

الغفران لمن تاب وندم على خطيئته، ويَمنح هذا المذهب لكل فرد أن يفسر الكتاب المقدس بنفسه، فهو يقوم على إتاحة المناقشة والجدل فيما ورد في الكتاب المقدس.

(وقد دعا إلى ظهور هذه النحلة أمور كثيرة يرجع أهمها إلى مظاهر الفساد التي بدت في كثير من أمور الكنيسة الكاثوليكية ومناهجها وطقوسها، وما أحدثته من بدع، ومسلك قسيسها والقوَّامين عليها، وإلى تحكمها في تفسير كل شيء، ومحاولة فرض آرائها على جميع أتباعها حتى الآراء التي لا علاقة لها بالدين؛ كالآراء المتعلقة بظواهر الفلك والطبيعة وشئون السياسة ونظم الحكم وما إلى ذلك)[1].

ولهذه الأسباب وغيرها ظهرت حركة الإصلاح في القرن السادس عشر وكان من دعاتها «مارتن لوثر» والذي تنسب البروتستانتية إليه، وهو أول من قال ببطلان صكوك الغفران، وعارض تعاليم الكنيسة، فأصدر البابا قراراً بحرمانه واعتباره كافراً زائغ العقيدة.

يقول رولاند بينتون:

(كان الإصلاح اللوثري بمثابة الشرارة التي انطلقت فأشعلت الحماس الكامن في القلوب رغبة في الصلاح، فانفصل الكثيرون عن الكنيسة الكاثوليكية دون أن يندمجوا في الكنيسة اللوثرية، وأسسوا كنائس خاصة لهم، ذهبوا فيها إلى مدًى أبعد مما ذهب إليه لوثر وأبطلوا الكثير من الممارسات الكاثوليكية، وقد أطلق المنفصلون على أنفسهم لقب: (الكنائس المصلحة)، وقد نشأت في سويسرا ثلاث كنائس بدأت أولا في زيورخ وأطلقت على نفسها اسم: «المصلحة»، ونشأت الثانية في نفس المدينة وأطلقت على نفسها اسم: (المعمدانية)، وانتشرت تعاليمها في هولندا وإنجلترا، ثم فيما بعد بأمريكا، أما الثالثة فقد نشأت في الجزء الألماني من سويسرا في جنيف بقيادة جون كلفن، وأطلقت

(١) الأسفار المقدسة ص١٤٠، راجع: تاريخ الكنيسة، جون لوريمر ص١١٥ وما بعدها.

على نفسها اسم: «المشيخية»، وتقوت الأخيرة في فرنسا وهولندا واسكتلندا وإنجلترا وأمريكا[1].

وكنائس المذهب البروتستانتي لا يطلق عليها أسماء القديسين أو الرسل أو أحد من الحواريين، وغالبيتها تسمى بالكنيسة البروتستانتية أو المشيخية، أو الإنجيلية أو تتسمى بأسماء البلاد التي فيها، بخلاف الكاثوليك والأرثوذكس الذين يسمون الكنائس بأسماء العذراء والرسل والشهداء[2].

عقائد الكنيسة البروتستانتية ومبادئها:

تتفق الكنيسة البروتستانتية مع غيرها من الكنائس فيما يتعلق بجوهر العقيدة فيقولون بالتثليث وألوهية المسيح وبنوته لله وصلبه، وقيامته ورفعه، وحسابه للعالم يوم القيامة.

وتتلخص المبادئ البروتستانتية فيما يلي:

(١) تعتقد الكنيسة البروتستانتية بأن للمسيح طبيعتين بعد الاتحاد إحداهما لاهوتية والأخرى ناسوتية.

(٢) يعتقد البروتستانت أن الروح القدس منبثق من الأب والابن معاً.

(٣) لا تؤمن الكنيسة البروتستانتية بنظام الكهنة ولا بوجوب إقامة مذابح ولا بخور ولا هيكل ولا حجاب في نظام العهد الجديد.

(٤) يعتقد البروتستانت أن الأعمال غير ضرورية للخلاص؛ لأنها ليست عله التبرير كالإيمان بل هي ثمرة الإيمان ونتيجة التبرير.

(١) مواقف من تاريخ الكنيسة ص ١١٩، ١٢٠.

(٢) راجع: اللآلئ النفيسة شرح طقوس ومعتقدات الكنيسة جـ١/ ١٠٥.

(٥) لا يعترف البروتستانت إلا بالكتاب المقدس فلا تعترف بتعاليم الرسل أو آباء الكنيسة الأوائل التي لم تدون في الكتاب المقدس، وتعتبر الأسفار المحذوفة غير قانونية.

(٦) لا تؤمن بالأسرار السبعة، ولا تعترف إلا باثنين فقط وهما المعمودية والعشاء الرباني، وأن العشاء لا يتحول إلى جسد المسيح بل تبقى الخمر خمراً ويبقى الخبز خبزا على حالتهما والجسد داخل فيها.

(٧) تنكر فريضة الصوم، وتنكر التبرير بهذه الأعمال الكنسية؛ ومن ثم تنكر الأعياد جميعها والتي تقام للمسيح والشهداء أو للقديسين.

(٨) تحرم الاستسقاء بالشهداء والقديسين وتنكر اتخاذهم وسطاء.

(٩) لا تؤمن بالسجود للإيقونات ولا للقديسين، ولا معنى الصلاة على الصالحين وطلب الرحمة لهم.

(١٠) لا تؤمن بنظام الرهبنة وتقول: إن عدم زواج رجال الأكليروس هو منافٍ للكتاب المقدس؛ ولذلك ترفض هذا الحكم.

(١١) لا تعترف بالنظام البابوي ولا بالدرجات الكنسية فكلها عندهم درجة واحدة.

(١٢) تحرم الكنيسة البروتستانتية أن تقام الصلاة بلغة غير اللغة المفهومة للمتعمد[1].

(١) راجع: تاريخ الأقباط جـ١/ ٢٧٥، ٢٧٧، ومحاضرات في النصرانية ص ١٨٤ - ١٨٧، الأديان في كفة الميزان ص ٥٠، الأسفار المقدسة ص ١٤٤-١٦٤، يا أهل الكتاب تعالوا ص ٢٩٢ وما بعدها، والنصرانية دراسة مقارنة ص ٢٥٨، المسيحية ص ٢٤٠.

الكنائس البروتستانتية:

الكنيسة البروتستانتية كغيرها من الكنائس التي انقسمت إلى مذاهب شتى، تَزَعَّم كلَّ مذهب رجلٌ يدعو إلى الإصلاح بما يتفق مع هواه، ولكل كنيسة من هذه الكنائس عقائدها ومبادئها، ومنها على سبيل الإيجاز:

[١] كنيسة المانونايت:

وهي تُنسب إلى كاهن لاتيني اسمه: «مينون» انضم إليه كاهن اسمه: «ستروخ»، ولا تعترف هذه الكنائس بمعمودية الكنائس الأخرى، وتخالف الكنائس الأخرى بالإضافة إلى ذلك في أنها لا تؤيد وجود محاكم وحكومات مدنية، وتحرم الحرب وسفك الدماء، ويرفضون معمودية الأطفال.

[٢] الكنيسة الإسفانكفليدية:

وتنسب إلى «إسفانكفليدية» الذي ظهر بأمريكا سنة ١٩٩١م، ويعتقد بوجوب ظهور علامات الإيمان وتحول العشاء الرباني إلى جسد المسيح، من دم ولحم.

[٣] الكنيسة الإسرائيلية الحديثة:

وتنسب إلى امرأة اسمها «حنة» تزعم أنها المرأة المذكورة في سفر الرؤيا، ويزعم أتباعها أنهم هم الإسرائيليون الحقيقيون، ولا يفرقون بين اليهودية والمسيحية، وظهرت في القرن التاسع عشر.

[٤] الكنيسة اليونانية:-

تنسب إلى أتباعها من اليونان الإنجيليين.

[٥] الكنيسة الهورنهوتية:

في مدينة هورنهوت المسكوسونية، وتحاول هذه الكنيسة التوفيق بين الكنائس البروتستانتية[١].

هذه بعض الكنائس والمذاهب المنشقة عن الكنيسة البروتستانتية والتي تسمت بأسماء أصحابها الذين أسسوها.

وتعرف الكنائس البروتستانتية في مصر بالإنجيلية، وإن كان أتباعها ينتسبون إلى مذاهب مختلفة، بمعنى أن أتباعها يتبعون الإنجيل ويفهمونه بأنفسهم دون الخضوع لأحد آخر أو طائفة أخرى.

إن الكنيسة البروتستانتية التي تبنت حركة الإصلاح في الكنيسة لم تُبطل أصلا من أصول النصرانية المحرفة والتي تعتقدها الكنائس الأخرى، وهي لم تعمل إلا على عدم غلو الرؤساء ورجال الدين في السلطة، فلم يكن الإصلاح للنصرانية وإرجاعها إلى أصولها النقية؛ لذلك بقيت موضوعات ضخمة لم يَتَطَرَّق إليها الإصلاحُ مثل قضية التثليث، والصلب والخطيئة والبحث عن إنجيل المسيح، وتصحيح التعاليم بإبعاد الدخيل على تعاليم المسيح الصحيحة التي جاء بها.

يقول الشيخ / محمد أبو زهرة:

(فإذا كان المصلحون قد قرروا أن يأخذوا مذهبهم الديني من الكتب الصحيحة، وقرروا أن يرفضوا سلطان المجامع والكنيسة معا، فإن المنطلق الذي يسيرون عليه كان يوجب عليهم أن يرفضوا أقوال المجامع القديمة، ومنها ألوهية المسيح وألوهية الروح القدس.

(١) راجع: المجامع المسيحية ص ٥١٤ -٥١٦.

ثم يقول: وكنا نود أن يدرسوا قرارات هذه المجامع، وينظروا إلى سندها وقوتها، فإن لم يروا السند قويا رفضوا تلك القرارات، ولكنهم لم يسيروا في منطلقهم إلى أقصى مداه فرفضوا آراء الكنيسة في أمور، أعظمها شأناً ما بيناه، ولم يتجهوا إلى لب العقيدة)[١].

وهكذا بقيت المسيحية مثلثة بعد ظهور المذهب البروتستانتي، فلم يعودوا إلى التوحيد الذي جاء به عيسى عليه السلام، وكثرت فيهم الفرق والمذاهب والتي لم تتفق فرقتان منهم مع بعضهما إلا فيما يتصل بالصلب والتثليث، فلا توجد أمة أشد اختلافا في معبودها ونبيها ودينها من النصارى، وصار الصراع بين الكنائس شيئا مألوفا، بل بين أصحاب المذهب الواحد، مما أدى إلى الاضطراب في العقيدة والطقوس التعبدية والشعائر الدينية.

ولقد نعى الله تعالى عليهم بسبب هذا الاختلاف فقال:

﴿ فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَيْنِهِمْ ۖ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٣٧﴾ ﴾[٢].

وما اختلفوا إلا بسبب ابتعادهم عن تعاليم دينهم الذي جاء به المسيح، فقد أخبرهم وأمرهم بتوحيد الله وعبادته، قال تعالى على لسان المسيح:

﴿ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾ ﴾[٣].

وقد نطق عيسى عليه السلام في المهد، يقول الله تعالى مخبرا عن ذلك على لسان عيسى عليه السلام:

﴿ قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَٰنِى بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِى وَلَمْ يَجْعَلْنِى جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ ﴾[٤].

(١) محاضرات في النصرانية ص ١٨٨، راجع: الإسلام والنصرانية -محمد عبده ص ٤١.

(٢) سورة مريم: الآية (٣٧).

(٣) سورة المائدة: الآية (٧٢).

(٤) سورة مريم: الآيات (٣٠-٣٢).

وقال: ﴿ وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴾[١].

وقال: ﴿ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِي بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ ﴾[٢].

وفي إنجيل يوحنا منسوبا إلى المسيح: (وهذه هي الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك ويسوع المسيح الذي أرسلته)[٣].

فهذه النصوص قاطعة في دلالتها على بشرية المسيح عليه السلام، ودعوته إلى وحدانية الله تعالى وعبادته وحده دون سواه.

(١) سورة مريم: الآية (٣٦).
(٢) سورة المائدة: الآية (١١٧).
(٣) إنجيل يوحنا: ١٧/ ٣.